

مفهوم علم الكلام الجديد ونشأته

The Concept Of The New Theology And Its Origin

إعداد

إدريس بن علي البارقي

Idris Ali Al-Barqi

باحث دكتوراه - كلية الشريعة وأصول الدين- جامعة الملك خالد- المملكة العربية السعودية

Doi: 10.21608/jasis.2023.294984

استلام البحث ٢٨ / ٢ / ٢٠٢٣

قبول البحث ٢٠ / ٣ / ٢٠٢٣

البارقي ، إدريس بن علي (٢٠٢٣). مفهوم علم الكلام الجديد ونشأته. ***المجلة العربية للدراسات الاسلامية والشرعية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر ، ٧(٢٣)، أبريل ٣٩٥- ٤٠٨.

http://jasis.journals.ekb.eg

مفهوم علم الكلام الجديد ونشأته

المستخلص:
هدف البحث الي معرفة مفهوم علم الكلام الجديد. ومعرفة نشأة علم الكلام الجديد والتأصيل النظري. ومعرفة مسائل علم الكلام الجديد. تم استخدام المنهج الإستقرائي. ومن أبرز نتائج البحث فقد تناول البحث مفهوم علم الكلام الجديد حيث إن علم الكلام الجديد امتداد لعلم الكلام القديم باعتبارهما متفقان في الغاية، وصفة الجديد هنا لا تتعلق بالعلم ذاته بل تتعلق بالتجديد في بعض جوانبه المعرفية كالمسائل والموضوع والمناهج والمبادئ وغيرها. كما تناول البحث نشأة علم الكلام الجديد والتأصيل النظري. كما تناول البحث مسائل علم الكلام الجديد ومنها: الدين والعلم، والتجربة الدينية، وفلسفة التأويل أو الهيرمينوطيقا: النظر الفلسفي في الوحي، والأنسنة، وقضايا الإنسان المعاصر.
كلمات مفتاحية: مفهوم- علم الكلام الجديد- نشأة.

Abstract
The Aim Of The Research Is To Know The Concept Of The New Theology. And Knowledge Of The Emergence Of New Theology And Theoretical Rooting. And Knowledge Of The Issues Of New Theology. The Inductive Method Was Used. Among The Most Prominent Results Of The Research, The Research Dealt With The Concept Of The New Theology, As The New Theology Is An Extension Of The Old Theology, As They Are In Agreement In The Purpose, And The Description Of The New Here Is Not Related To The Science Itself, But Rather Related To Renewal In Some Of Its Cognitive Aspects, Such As Issues And Subject Matter, Methods, Principles And Others. . The Research Also Dealt With The Emergence Of The New Science Of Theology, And Theoretical Rooting. The Research Also Dealt With Issues Of New Theology, Including: Religion And Science, Religious Experience, And The Philosophy Of Interpretation Or Hermeneutics: Philosophical Consideration Of Revelation, Humanism, And Contemporary Human Issues.
Keywords: Concept - New Theology - Origin.

مقدمة:

إنّ محاولة دراسة إشكاليات وقضايا علم الكلام الجديد، تتوقّف على المعرفة بمفهوم هذا العلم وبنشأته وأصوله، والإحاطة أيضا بخصوصية المنهج في تناول مسألة نزول الوحي وتدوين الكتاب وتحليل نتائج اعتماد منهج البحث والتفكير الذي آمن به ووضع قواعده أصحاب علم الكلام الجديد ومعظم رواد الكتابة والتأليف في هذا الحقل الفكر الديني الإسلامي والحضاري المعرفي الجديد. ولعلّه من هذا المنطلق تظهر ضرورة النظر في الإشكاليات والقضايا الكبرى التي طرحها علم الكلام الجديد، لا سيّما منها تلك التي تبدو على علاقة متينة بحقيقة الوحي وبروج القرآن وأصول العقيدة والنبوّة بوصفها جوهر الإسلام والأساس الذي به صار الدين إلهيّا، وفي ضوئه يكون بالإمكان البرهنة على حجيّته وإمكان نزوله من الله إلى الإنسان.

وهو ما يعني أنّه من الضروري انطلاق البحث النقدي المعرفي الخالص في النتائج والاجتهادات وفي المقاصد البعيدة، لتلك الاستنتاجات وأشكال التفكير التي انتهجها الجدد من علماء الكلام والعقيدة أو دعاة تجديد علم الكلام، حيث دعوا إلى تجاوز آراء المتكلمين القدامى ومذاهبهم عبر إرساء أصول قراءة جديدة توافق روح العصر وتساير نسق التطوّر والتقدّم التي ينجزها الإنسان المعاصر وتفرزها يوما بعد يوم الحضارة الجديدة وزمن الحداثة. ذلك أنّ مباحث علم الكلام الجديد انصهرت ضمن قضايا قراءة التراث والتأصيل للتحديث وقيم الحداثة، دون تضحية بالتراث ومكانته في الوجدان والثقافة أو تجاوز كلّي حسب الأدعاءات النظرية لأصحاب الكلام الجديد، وهو ما استوجب ظهور التفكير في إيجاد التجانس والتوافق اللّازمين بين التراث والحداثة وبين الافكار الجديدة ذات النفس التحرّري العقلاني في المعرفة، والتفكير أيضا في سبل التجديد وحقوق الإنسان والنظرة الجديدة لحرية الفرد من جهة ومثل القرآن أحكامه الاعتقادية والشرعية في العبادة والمعاملات والقيم الخلقية المثلى من ناحية أخرى. ولعلّ ذلك هو المجال العام لاهتمام علم الكلام الجديد، الذي يمكن اعتباره قد تولّد نتيجة للبحث عن الكونية الخالصة كما جسّدتها تشريعات ومذاهب فكرية حضارية عصرية في أغلبها، ترنو أن تكون عالمية ملزمة للجميع، ويتبنّاها العالم قاطبة، وتكون منفتحة على العصر متجاوبة مع التقدّم ومعالم الحداثة وتيّاراتها الفكرية. وهو ما جعل مقالات أصحاب علم الكلام الجديد في وضعية دفاع دائم عن رؤيتهم للدين الإسلامي من جهة علاقته بالعلم ومن منظور العلوم والمناهج الحديثة. ومن ثمّ جاء نقد التراث وظهر نقد مذاهب المتكلمين القدامى وما أنجزوا من آراء واجتهادات في مجال علم أصول الدين. ويأتي مثل هذا النقد للمذاهب والأفكار الدينية التي صاغها المفكّرون القدامى من أسلاف علماء الأمّة، دفاعا عن مشروع (فكري حضاري حداثي) في النهضة العربية (يكون) متمثلا لأصول وأسس معاصرة للدين دون أن يكون ناسخا ولا مقلّدا ولا تابعا.

أسئلة البحث:

يسعي البحث للاجابة عن الاسئلة الاتية:

- ما مفهوم علم الكلام الجديد؟
- اذكر نشأة علم الكلام الجديد والتأصيل النظري؟
- ما مسائل علم الكلام الجديد؟

أهداف البحث:

يهدف البحث الي:

- معرفة مفهوم علم الكلام الجديد.
- معرفة نشأة علم الكلام الجديد والتأصيل النظري.
- معرفة مسائل علم الكلام الجديد.

أهمية البحث:

ترجع أهمية البحث الي:

- تأتي أهمية هذا البحث من أنه يهتم بالتركيز على موضوع مفهوم علم الكلام الجديد ونشأته.
- قد يفتح البحث الباب لإجراء دراسات مماثلة.
- قد يوفر البحث مرجعا للدارسين، كما قد يسد ثغرة علمية.
- من المؤمل أن يؤدي هذا البحث الي بحوث جديدة.

منهج البحث:

إن من أهم عوامل نجاح أي دراسة علمية هي اعتماد الباحث منهجا علميا في دراسته يكون متناسبا مع محور البحث و مجاله ، ومع الهدف الذي يسعى الباحث لتحقيقه . فقد كان المنهج المناسب للبحث هو المنهج الإستقرائي.

الجهود السابقة:

حاول الباحث التوصل إلى دراسات سابقة ذات صلة بموضوع البحث ، فقد قام الباحث بالبحث على شبكة الإنترنت فوجد بعض الدراسات التي تناولت هذا الموضوع ، مرتبة من الاقدم الي الاحدث، وهي علي النحو الاتي:

دراسة القرني (٢٠٢٠) بعنوان " علم الكلام الجديد بين دعوى التجديد والعلمانية: المدرستان الهندية والإيرانية أنموذجاً: دراسة وصفية تحليلية ". حيث هدف هذا البحث إلى الكشف عن حقيقة علم الكلام الجديد؛ وذلك من خلال تحليل أطروحات أعلام المدرستين الهندية والإيرانية الذين اهتموا بالدعوة والتأسيس إلى علم كلام جديد وفق منطلقات معاصرة تلائم الواقع. وقد انتهى البحث إلى الكشف عن انقطاع هذا الاتجاه عن مسمى التجديد الكلامي، والتأسيس لفلسفة لاهوتية للدين تتمايز عن علم

الكلام غاية ومنهجا وقضية، كما انتهى إلى التأكيد على أن أطروحات أعلام هاتين المدرستين تنتهي في مجملها إلى العلمنة والتمركز حول الإنسان، أو إيجاد الأرضية المناسبة لذلك في أقل الأحوال. كما بين البحث الموقف من عدد من تطبيقاتهم، ورفض: مركزية الإنسان، ودهرية الحياة التي ينادون بها، وإنسانية النبوة، وتاريخية الوحي.

دراسة الشهبي (٢٠٢٢) بعنوان " علم الكلام الجديد للعلامة الهندي وحيد الدين خان ". ناقشت علم الكلام الجديد للعلامة الهندي وحيد الدين خان. واستهلت الدراسة بالإشارة إلى أن للعلامة وحيد خان كتابات تنظيرية ترتبط بعلم الكلام الجديد مثل تجديد علوم الدين والبعث الإسلامي، المنهج والشروط. وبين اختياره لنصين مباشرين في الموضوع عرضهما على معشر القراء الأفاضل لهذا العلم الفريد، وجاء النص الأول في مبادئ على الكلام الجديد، ويضم أربعة مبادئ للعلم عنده حيث تتلخص حقيقة علم الكلام الجديد في أنه استجلاء حقائق الدين بالأدلة التي تطمئن الذهن الجديد والعقلية الجديدة، وتوصل التعاليم الإسلامية بأحدث أساليب الاستدلال الملائمة للعقل الجديدة. وتطرق النص الثاني نحو علم كلام جديد وبين لو نظرنا إلى الأمر من هذه الناحية فسنجد أنه لا يوجد في الإسلام شيء يسمى بعلم الكلام الجديد والقديم، إن خطأ المتكلمين هو السبب في تقسيم علم الكلام إلى جديد وقديم. وأشار إلى بعض الواجبات المطلوبة لتدوين علم الكلام الجديد. واختتم البحث بالتأكيد على أن مؤلفينا قد سطروا ما لا يحصى من الكتب في العصر الحاضر، ولكنه لايزال يجهل وجود مجموعة كتب إسلامية في أية لغة من اللغات تعرض تعاليم الإسلام وسيرة البني علية الصلاة والسلام بالأسلوب البسيط الإيجابي الواقعي.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة والمراجع، وذلك كما يلي:

المقدمة وفيها: أسئلة البحث، واهمية البحث، ومنهج البحث، الجهود السابقة.

ثم خطة البحث.

المبحث الأول : مفهوم علم الكلام الجديد.

المبحث الثاني: نشأة علم الكلام الجديد والتأصيل النظري.

المبحث الثالث: مسائل علم الكلام الجديد.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج، التي ظهرت لي من خلال البحث.

المراجع.

الإطار النظري للبحث:

المبحث الأول : مفهوم علم الكلام الجديد :

إن علم الكلام الجديد امتداد لعلم الكلام القديم باعتبارهما متفقان في الغاية، وصفة الجديد هنا لا تتعلق بالعلم ذاته بل تتعلق بالتجديد في بعض جوانبه المعرفية كالمسائل والموضوع والمناهج والمبادئ وغيرها، وهذا التجديد يتم استيعابه داخل منظومة العلم ليكون (الجديد) إشارة لما طرأ من تغيرات في بعض أضلاعه المعرفية، ولتمييزه عن علم الكلام التراثي، وبما أن تمايز العلوم يكون بتمايز اغراضها، والغرض من علم الكلام الجديد لم يتغير عنه في القديم، إذ العلم في ذاته كماهو علم كلام لم يتغير، فهنا يصبح علم الكلام الجديد "مرحلة متأخرة لمشروع تكاملي يسمى (علم الكلام)". (اوجبي، ١٤٤٢ هـ: ٢٦١)

ويعتبر البعض أن علم الكلام الجديد علم مستقل مختلف عن علم الكلام القديم، والاختلاف بينهما غير محصور في إضافة مسائل جديدة، بل يشمل التجديد في المسائل والمباني والمناهج والغايات وهيكلة، إذ صفة الجديد متعلقة بالعلم ذاته وليس بأضلاعه المعرفية، ولا يجمع بين الكلام القديم والجديد إلا التشابه اللفظي في المسمى، ويبدو أن هذا الرأي قد أتى متأثرا بالتغيرات التي طرأت على الإلهيات المسيحية القديمة وميزتها على الإلهيات المسيحية الجديدة فما يسمى "بالكلام الجديد هو بالضبط الإلهيات المسيحية الجديدة مع إجراء بعض التعديلات عليها، وإجراء بعض التعديلات القليلة جدا من أجل مطابقتها مع العقيدة الإسلامية". (ملكيان، ٢٠٠٩: ١٥٢)

فعلى مستوى الأهداف جرى التبديل في وظيفة علم الكلام من الوظيفة الدفاعية المهتمة بالانتصار للمذهب وابطال الآراء المخالفة كما في علم الكلام القديم إلى "العلم الذي يخلص وينقي العقيدة الإسلامية من شغب المتكلمين القدماء الذي كان مبعثه التعصب المذهبي". (عمارة، ١٤٢٢ هـ: ١٦)

وعلى مستوى الموضوع انتقل البحث في موضوعات محددة كالذات والصفات والأفعال الإلهية في علم الكلام القديم، إلى أن اصبح موضوع علم الكلام الجديد مشتملا على الدفاع عن كافة القضايا الدينية الغيبية والدنيوية، وعلى مستوى المحورية اهتم الكلام القديم بتركيز البحث في الله ذاته وصفاته، بينما اهتم الكلام الجديد بتركيز البحث على الإنسان من خلال أنسنة المفاهيم الدينية وتسخيرها لخدمة حاجات الإنسان واهتماماته. (ملكيان، ٢٠٠٩: ١٥٧)

ساهم طغيان النزعة التجريدية على علم الكلام القديم في عصوره المتأخرة في عزله عن البحث في الواقع، وجعله يبحث في قضايا عقلية مجردة، بالإضافة إلى أن هيمنة المنطق الأرسطي على حججه الاستدلاليه جعله عاجزا عن مواكبة العصر للإسهام في إيجاد حلول للقضايا الراهنة، وشيوع التقليد المذهبي وغياب العقل مع نسيان مبحث الإنسان في علم الكلام القديم، كلها عوامل ساهمت في ضعف الكلام القديم وضرورة

استبداله بعلم كلام جديد يهتم بالإنسان وواقع الإنسان وبالأبعاد الأخلاقية والتاريخية والاجتماعية في الدين. (الرفاعي، ٢٠٢١: ١٣٠)

كما يعرف علي أوجبي (باحث إيراني معاصر) علم الكلام الجديد بأنه "علم يعنى بتبيين المفاهيم والعقائد الدينية، وإثباتها ودحض الشبهات التي ترد على أسس الدين واصوله، والهدف منه تمتين أسس العقيدة الإسلامية بواسطة البرهان العقلي اليقيني، وترسيخ الإيمان في النفوس، والدعوة إلى الدين ونشره وحمايته من حراب التشكيك والنكران". (اوجبي، ١٤٤٢ هـ: ٢٦١)

يرى عبدالجبار الرفاعي (ولد١٩٥٤م) المفكر العراقي المهتم بعلم الكلام الجديد أنَّ علم الكلام القديم انتهت صلاحيته، وأنّ ذلك ما يدعو للعمل على بناء "علم كلام جديد" واقترح معيارًا يمكن على أساسه تصنيف مفكر بأنه "متكلم جديد"، وهو تعريفُه للوحي خارج مفهومه في علم الكلام القديم؛ بوصف الوحي المفهومَ المحوري الذي تتفرع عنه مختلف المسائل الكلامي، فالفهم الجديد للوحي هو المعيار لتمييز علم الكلام الجديد. واعتبر أن "كل من يقدم تفسيرا جديدا للوحي، بشرط أن يكون مؤمنا بمصدره الميتافيزيقي، يمكن أن يصنف تفسيره على أنه علم كلام جديد"وعلى هذا الأساس صنَّفَ المفكرين المنتمين لهذا العلم في مدوناته المتعددة المهتمة بعلم الكلام الجديد. (الرفاعي، ٢٠٢١: ٢٩)

وبناء على ما سبق يظهر للباحث عدم الاتفاق على تعريف جامع مانع لعلم الكلام الجديد عند المشتغلين به، وقد يعود ذلك لأمور:

الأول: حداثة نشوء هذا العلم باعتباره من العلوم المعاصرة والتي لاتزال في إطار التكوين .

الثاني : اختلاف الأسس المعرفية والمنطلقات المنهجية والاتجاهات الايديولوجية والخلفيات الثقافية والسياسية التي وجهت كل باحث إلى فهم الكلام الجديد وتأطيره وفق مقتضياتها.

- **المبحث الثاني: نشأة علم الكلام الجديد والتأصيل النظري**

أنّ مشروع تجديد علم الكلام أو علم الكلام الجديد عرف نقلة نوعية وجريئة ومتحررة في الطرح مع المدرسة الإيرانية، وظهر ذلك خاصّة في أعمال محمّد شبستري وكتابات عبد الكريم سروش الذي وضع مؤلّفات متعدّدة في مجال تجديد علم الكلام والتفكير الفلسفي العلمي في أصول الدين ومسائل العقيدة، مستندا في ذلك إلى أسس معرفية علمية وفلسفية فكرية، تنهل من نظريات العلوم الحديثة الإنسانية؛ التاريخ و الانتربولوجيا ومن علوم الطبيعة والبيولوجيا، وتحاول أن تنسج على منوال تلك العلوم والمعارف، ابتغاء إنجاز تأويل فلسفي علمي لتجربة النبوّة ولنزول الوحي، لاكتشافإدراك الكيفيّة التي تمّ بها الاتصّال بين الله والإنسان، بين عالم السماء والأرض، ومن ثمّ كان طرحه لمسألة لغة القرآن، ولقضايا المعنى والدلالة، بحثا جديد في نظام الحياة وأصول

الاجتماع وفي قضايا الحقوق والحرّيات. وهو ما طرقه فيأغلب كتبه، ولعلّ من أهمّها بحسب هذا السياق: "العقل والحرّية"، و"بسط التجربة النبوية"، و"التراث والعلمانية"، والقبض والبسط في الشريعة"، و "الدّين العلماني" و "الصراطات المستقيمة". و"السياسة والتديّن" و"أرحب من الإديولوجيا"، حتّى رأى بعضهم أنه من الجائز وصفه بأنّه "لوثر الإسلام" ذلك أنّه "يريد تحرير التديّن من العناصر والمفاهيم النافلة والآسنة التي تلقي بظلاميتها على جوهر الدّين (ومن ثمّ) يسعى لتزويد الدّين بوسائل وقيم من خارج الدّين تسمح بحوار مثمر بين العقل والوحي". (ابن زين، ٢٠٠٩: ٥٧)

بناء على ذلك تظهر للباحث مدى درجة الخلاف بين المدرسة الهندية في تجديد علم الكلام التي دعت إلى التطوير في إطار علاقة تواصل واستمرارا مع الأصول المرجعيةممثّلة في اجتهادات الأوائل من علماء الدّين والعقيدة، في حين جاءت آراء علماء المدرسة الإيرانية في تجديد علم الكلام لتربط مشروع التطوير والتجديد بإعادة تأسيس للأصول والعقائد الإيمانية، يبدو معرفيا ونظريا ومنهجيا، لكّنه يقطع كلّيا مع القديم وتتجاوزه إلى بناء نظري لخطاب جديد، سنده المعارف الحديثة ومنطق العلم المعاصر ومنطلقه اجتهادات التفكير العقلي والفلسفي الحرّ الذي لا يحتكم بالضرورة إلى ضوابط دينية أو مذهبية سابقة. لذا تمّ اعتبار التجديد ضرورة أساسية وليست حاجة كمالية، اعتبارا لكون علم الكلام، حسب أصحاب هذا التيّار، يظلّ يمثّل "القاعدة الأساس التي يقوم عيها التشريع الإسلامي، والمرتكز الذي تستند إليه الأخلاق الإسلامية". (الفضلي، ٢٠٠١: ٦)

- **المبحث الثالث: مسائل علم الكلام الجديد:**

اهتم أصحاب الكلام الجديد بطرح المسائل الجديدة ومعالجتها من خلال الرؤية الجديدة لهذا العلم، لأن تجدد المسائل دليل على تجدد العلم، ولعل أهم المسائل التي تناولها علم الكلام الجديد، مايلي :

- **الدين والعلم**

إن الوضع بخصوص الاعتداد بالعلوم الوضعية والمعرفة الإنسانية الاجتماعية الوضعية في مجال تحليل حقائق الدين حدّا تصبح معه معيارا مرجعيا وآلة يُحتكم إلها في قياس مدى صواب الرأي وصحّة الاجتهاد ومنطقية الرأي والتفسير من خلال إدراك ذاك التوازن والتداخل بين علوم الإنسان الاجتماعية الثقافية وعلوم الطبيعة والمادّة الرياضية والتجريبية. ذلك ما يلمسه الناظر في كلام سروش الوارد في كتابه "القبض والبسط والشريعة"، حيث يرى أنّ "هناك تلاؤما لدى الإنسان المعاصر بين معرفته بالإنسان (ذاته)، ومعرفته بالطبيعة والأنتربولوجيا (علم الإناسة) وعلم الإحياء (البيولوجيا)، وانسجاما كذلك بين هذين العلمين وبين علم معرفته وميتافيزيائه ومعرفته الدينية". بناء على ذلك كيف أنّ "هذه العلوم أضلاع، بل أقواس في دائرة واحدة (ومن ثمّ) فالإنسان لا يستطيع أن يفهم الدّين فهما مناقضا لعلم الإناسة خاصّة أو ان يفهم الإنسان علم الطبيعة

والمعرفة (ابستمولوجي)" ، وهو ما يمكن أن يعطي تلك المكانة المرجعية لعلم المعرفة (الابستتمولوجيا) والعلوم الإنسانية، انطلاقا من أنّ "المعرفة الدينية مسبوقة بعلم الإناسة ومبنية عليه، فما لم يعرف الإنسان عن أيّ شخص يتحدّث، لن يعرف عن أي دين يتحدّث. (سروش، ٢٠١٠: ٨٦)

- **التجربة الدينية**

يجد الناظر في مصنّفات علم الكلام الجديد أنّها كما سبقت الإشارة إلى ذلك، تعتمد مناهج الفلسفة وأدوات التفكير العقلاني المجرّد الذي لا يتقيّد بالضرورة باعتقاد أو قناعة مسبقة إلا الإيمان بالإسلام دينا منزّلا من عند الله، حيث لا يقتصر اعتماد الفلسفة وأدوات النظر العقلي لدى أصحاب علم الكلام الجديد، على ما قال به الفلاسفة العرب والمسلمين القدامى أو الصوفيّة، بل تتعدّها إلى نظريات الفلاسفة المعاصرين ذوي المنزع النقدي العقلاني، التي ظهرت بواكيرها الأولى مع الفيلسوف الفرنسي ديكارت(ت١٦٥٠م) الذي حكّم العقل في مسائل الدّين والإيمان ورأى أنّه على الباحث عن الحقيقة ألّا يقبل إلا ما هو غاية في الوضوح التميّز، ولا يناقض مبادئ الفطرة الذهنيّة، كذلك تأسّست نظريات علم الكلام الجديد على مبادئ النظرية النقدية الكانطية نسبة إلى الفيلسوف الألماني إمانوئيل كانط (ت١٨٠٤م) وهي النظرية التي تقوم على التساؤل النقدي وضبط إمكانات المعرفة العقلية، وبحث سبل إدراك الدّين والعالم العلوي (الميتافيزيقا) والحقائق المجرّدة بالعقل، ومن أشهر ما قال به كانط إنّه لا يمكن للعقل أن يدرك الميتافيزيقا، ولا يعني ذلك عدم وجودها. (كانط، ١٩٨٨: ١١)

وقد حضر مفهوم التجربة الدينية في كتابات أغلب علماء الكلام الجدد، وتردّد ذكره في سياقات مختلفة تتصل بنسبية المعرفة، نجد مثلا محمّد إقبال(ت١٩٣٨م) قد تأثّر بالنزعة الفلسفية الكانطية في فهم علاقة الإنسان بالدين من حياة سؤال المعرفة، إذ يبقى الإنسان باحثا عن المعرفة التي لا يمكن أن تكون مطلقة، ومن ثمّ فهي نسبية تجريبية، معتبرا ذلك ضرورة منهجية اعتمادا عليها يمكن تأسّيس الاجتهادات والتأمّلات، وهو ما يدلّ عليه قوله في المبحث الأوّل من كتابه "تجديد التفكير الديني؛ "المعرفة والرياضة الدّينية":إنّه "أمام عجز الإنسان وقصوره"، يصبح من من البديهي "أن نستخدم في مباحث الدّين المنهج العقلي الخالص، إذ أنّ روح الفلسفة هي روح البحث الحرّ تضع كلّ سند موضع الشكّ، ووظيفتها أن تتقصّى فروض الفكر الإنساني التي لم يمحّصها النقد إلى أغوارها"، وعبّر عن حاجة فهم الدّين والإيمان به اعتمادا على الفلسفة، حين قال: "الحقّ أنّ الدّين – نظرا لوظيفته أشدّ حاجة حتّى من المبادئ المسلّمة"، وقد بيّن كيف أنّه لا يعتمد هذا النهج بكلّ مبادئه، وإنّما هو يبحث له عن تكييف مع روح الدّين بما يخدم حقيقة الإيمان ويقوّى الشعور به، ذلك أنّ حال المسلمين في العصر الحديث، نفسه "حال ألمانيا عندما ظهر كانط وكشف في كتابه "العقل الخالص" (المحض)،عن قصور العقل الإنساني، فهدم بذلك ما بناه أصحاب المذهب العقلي من قبل، وصدق عليه القول بأنه

كان أجلّ نعم الله على وطنه". ولقد حدّد إقبال من قبل وظيفة علم الكلام الجديد، حين اعتبر أنّ مهمّته تتمثّل في "أن يحاول بناء الفلسفة الدينية الإسلامية بناء جديدا، آخذا بعين الاعتبار المأثور من فلسفة الإسلام، إلى جانب ما جرى على المعرفة الإنسانية من تطوّر في نواحيها المختلفة، واللحظة الراهنة مناسبة كلّ المناسبة لعمل كهذا". إنّ المقصود بالفلسفة الدينية في الإسلام هو علم الكلام، وبالنسبة للمأثور من فلسفة الإسلام يشتمل ذلك في نظر إقبال علم الكلام والفلسفة والتصوّف. ومن ثمّ ظلّ يبحث فيما يقرّب بينه وبين الفكر الدّيني الإسلامي، كما حاول أن يربط تلك النزعة في التفلسف والبحث العقلي بأبعاد دينية إيمانية وروحية صوفيّة، من شانها أن تؤصّل للإيمان بوصفه قناعة روحية ذاتيّة وبداهة عقلية، ولهذا يفتح نافذة على الغزالي ويبحث عمّا يصله بكانط، وينقد الغزالي في الآن نفسه. (إقبال، ١٩٥٥: ٥)

- **فلسفة التأويل أو الهيرمينوطيقا: النظر الفلسفي في الوحي**

سبقت الإشارة إلى ذلك إجمالا. لقد دافع المتكلّمون الجدد في إيران وفي العراق خاصّة ومع فضل الرحمن(ت١٩٨٨م) في الباكستان عن نهج الهيرمنيوطيقا واعتبروها فلسفة مثلى ونظرية معرفة مثالية في إدراك أصل الدين وتفسير حقيقة الوحي، ورأوفي استخدامها فائدة كبرى، من أبرز ثمراتها أنّها تساعدنا على تجاوز الجدل العقيم حول حقائق الدين كذلك تجاوز المعرفة السطحية، لا سيما وأنّ الإنسان يمكن أن يعرّف على أنه كائن هيرمنيوطيقي، أي أنّه "ذاك الكائن الذي يمكنه، بل يلزمه أن يترجم الوجود، أي كل ما يقع في أفق تجربته الوجودية، محوّلا إياه إلى عالمه الخاصّ الداخلي الذي يدركه ويفهمه". (الرفاعي، ٢٠١٤: ١٩)

أنّ مصطلح الهيرمنيوطيقا مصطلح قديم بدأ استخدامه في دوائر الدّراسات اللاهوتية، ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسّر لفهم النصّ الديني (الكتاب المقدّس)" ، وفق "نظرية في التفسير"، حيث صارت بعض تيّارات تجديد التفكير الديني في الغرب وفي بلاد الإسلام، تميل إلى الاعتماد على فلسفات التأويل التي تنطلق من تفكيك لغة النصوص الدّينية وغير الدينية وفكّ أسرار سبل دلالاتها على المعاني والأفكار انطلاقا من رؤية وجودية ظواهرية، مرجعها أوّلا وأساسا إدراك الذّات العارفة واجتهادات الفلاسفة والمؤوّلين المتقدّمين، التي يعاد نقدها وإنتاجها وفق ما توصّل إليه العقل الفلسفي التأويلي. (أبو زيد، ١٩٩٢: ١٣)

ويبيّن عبد الجبار الرفاعي فضل هذا النهج الفلسفي التأويلي ودوره في تحقيق الأهداف المثلى لعلم الكلام الجديد بقوله: "الهيرمنوطيقا حين تستخدم في تأويل النصوص الدينية، تحرّر الدين من سجن الماضي، وتمنحه طاقة إضافية جديدة للحضور في العصر. ولا أحد من فلاسفة الدين لا يعتمد الهرمنيوطيقا في دراسة الدين، كلّهم هيرمينوطيقيون (في) حين أنّه عند تغييب الهيرمينوطيقا، يلبث المفسّر غارقا في التفسيرات التراثية، وقتئذ يفتقر الدين لإنتاج معنى جديد يمنحه لإنسان هذا العصر". من

هنا يظهر كيف أنّ من أهداف اعتماد الهيرمنيوطيقا على علم الكلام الجديد تحقيق "تحديث التفكير الديني في الإسلام (هذا التحديث الذي لا يكون)، إلّا بالخلاص من الأنساق اللّاهوتية المتوارثة، التي يجري فيها خلط وتلبيس بين الله وتصوّر البشر لله، بين المقدّس وتصوّر البشر للمقدّس، بين الدين ومعرفة البشر للدين (أيضا) فضح العنف والظلم والتعسّف والطغيان، (حيث) ظلّ على الدوام (بعضهم) يستغلّ صورة الله، ويمارس العدوان ويسفك الدماء باسم الله". (الرفاعي، ٢٠٢١: ٢٠- ٢١)

- **الأنسنة**

انتهت دراسات المجدّدين في علم الكلام إلى التركيز على بعد "الأنسنة" وإضفائه على الوحي والدين عموما، ولقد تمّ اقتباس مفهوم الأنسنة من الثقافة الغربية، بوصفه رؤية فكرية إنسانية تجعل "الإنسان مقياس كلّ شيء"، ليتمّ اعتبار الإنسان هو المنطلق والمرجع والمقصد والغاية من خطاب الوحي، ولكونه موجه إليه وهو محور اهمامه، وأمره الله بتدبر معاني آياته، فهو المرجع في فهمه والنطق بمعانيه، وعليه لامعنى أن يتمّ التسلّط علي العقل الإنساني باسم مرجعية مقدسة أو متعالية أو سلطة مذهب. ومن ثمّ جاءت مسألة القراءة الإنسانية إلى الدّين، وذلك عبر النظر إلى الدّين من زاوية نظرة الإنسان إلى الله"، وهي نظرة لا يمكن أن تكون إلّا عقلية تعتمد وسائل المعرفة البشرية وأدوات المعرفة التي راكمها العقل الإنساني في مجال الفلسفة وعلوم مناهج البحث العقلي، وفي مقدّمتها فلسفات التأويل والفهم. ومن ثمّ وضع شبستري فصولا في الموضوع، أهمّها: "الهيرمنيوطيقا الفلسفية والنصوص الدّينية". و"كيفيّة القراءة الإنسانية للدّين". وللإشارة فإنّ الاعتماد على الهيرمنويوطيقا التي يتمركز موضوع اهتمامها على تفسير النصّ (وتأويل مختلف دلالاته)، سواء أكان النصّ نصّا تاريخيا أم نصّا دينيّا، تدفع إلى أنسنة المقدّس والمعرفة به وتجعلها في حيازة العقل الإنساني، حيث تُطرح أسئلة كثيرة، معقّدة ومتشابكة، تبدو في حاجة إلى إجابة المؤوّل، وهي غالبا تتّصلبطبيعة النصّ القرآني وقدسيته ومصدره وسبل تفسيره وتأويله وحقيقة علاقته بالتراث والتقاليد وبقرّائه من جهة وعلاقته بمصدره الأوّل من جهة أخرى. (شبستري، ٢٠١٤: ٥)

وللإشارة فقد اتّسع مجال استخدام الفلسفة ومفاهيم الابستمولوجيا لدى عبد الكريم سروش، في أغلب ما كتب وفي مشروعه لتجديد العلوم الدينية ومن ضمنها علم الكلام، حيث رأى أنّ هناك فصلا بين الدّين والمعرفة الدينية، وبين الوحي وتفسيره وآراء المجتهدين فيه، معتبرا تلك بمثابة "معارف قبلية"، تجيء على أنقاضها اليوم بعد البحث وفحص التجربة "معارف بعدية"، مهمّتها التحقيق من درجة صحّة وجدوى تلك "المعارف القبلية". (سروش، ٢٠١٠: ٢١)

- **قضايا الإنسان المعاصر**

تطوّر هذا التصوّر المتعلّق بمعالجة قضايا الإنسان المعاصر لدى المدرسة الإيرانية التي أرادت عن تبحث في سبل تحرّر الإنسان وضمان استقراره وتقدّمه، والاعتراف بخقه في الاختلاف، مع البحث في السبل التي تجعل الدين عاملا محوريا في ذلك إوجاز ذلك، خاصّة أنّه جاء لينقذ الإنسان وليحرّره من كابوس الجهل والوثنية ويرتفع بإنسانيته. فمن علي شريعتي إلى شبستريوسروش ولدى المدرسة العراقية كان الأمر كذلك، وقد اتخذ سروش لذلك قاعدة معرفية، أساسها إدراك"ترابط المعارف البشرية وتفاعلها" و"انسجام علم الإناسة والعلوم الطبيعية وعلوم الدّين". (سروش، ٢٠١٠: ٨١)

ومن ثمّ مضى شبستريوسروش خاصّة يدمج كلاهما في مهام علم الكلام الجديد ضرورة النظر في مسائل الاجتماع الإنساني والحياة السياسية للأمّة والمجتمع والأفراد، فتكلّموا ضمن مباحث كلامية جديدة عن الحرّيات وحقوق الإنسان والدين وعن العدلة الاجتماعية والمساواة، بل طرقوا موضوع صلة الديمقراطية بالإسلام ومسائل التعدّدية الفكرية والسياسية، فجعلوا من علم الكلام الجديد بذلك علما جامعا، يشمل علم العقيدة وأصول الدين وفلسفة الدين والفقه ، لا سيما ما يتصل بالمعاملات وشؤون الاجتماع،وهناك مسائل أخرى فرعية، ارتبطت بقضايا حادثة مثل حقوق الانسان وحقوق المرأة والتعايش مع الآخر والمواطنة". (قرامكلي، ٢٠٠٢: ١٩٥)

الخاتمة:

لقد توصلت خلال هذا الجهد المتواضع إلى مجموعة من النتائج ، والتي تعد ثمرة البحث وخلاصته اقتصر على ذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

تناول البحث مفهوم علم الكلام الجديد حيث إن علم الكلام الجديد امتداد لعلم الكلام القديم باعتبارهما متفقان في الغاية، وصفة الجديد هنا لا تتعلق بالعلم ذاته بل تتعلق بالتجديد في بعض جوانبه المعرفية كالمسائل والموضوع والمناهج والمبادئ وغيرها. كما تناول البحث نشأة علم الكلام الجديد والتأصيل النظري. كما تناول البحث مسائل علم الكلام الجديد ومنها: الدين والعلم، والتجربة الدينية، وفلسفة التأويل أو الهيرمينوطيقا: النظر الفلسفي في الوحي، والأنسنة، وقضايا الإنسان المعاصر.

المراجع:

ابن زين، رشيد (٢٠٠٩). المفكّرون الجدد في الإسلام، نقله من الفرنسية إلى العربية، حسان عبّاس، دار الجنوب للنشر، تونس.
أبو زيد، نصر حامد (١٩٩٢). إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء.
إقبال، محمد (١٩٥٥). تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة عبّاس محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر.
أوجبي، علي (١٤٤٢ هـ). إطلالة على المسار التطوري لعلم الكلام، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، ع (١٤).
الرفاعي، عبد الجبّار (٢٠١٤). مقدّمة الكتاب الجماعي، تمهيد لدراسة فلسفة الدين، مركز دراسات فلسفة الدين، دار التنوير، بيروت.
الرفاعي، عبدالجبار (٢٠٢١). مقدمة في علم الكلام الجديد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط١ .
سروش، عبد الكريم (٢٠١٠). القبض والبسط في الشريعة، ترجمة: دلال عبّاس، دار الجديد، بيروت.
شبستري، محمّد مجتهد (٢٠١٤). القراءة الإنسانية للدّين، ترجمة: حيدر نجف، مراجعة: عبد الجبّار الرفاعي، مركز دراسات فلسفة الدّين، دار التنوير.
الشهبي، محمد (٢٠٢٢). علم الكلام الجديد للعلامة الهندي وحيد الدين خان. مجلة البلاغ الحضاري ، ع١٢. الناشر: لخضر بن يحيى. ص ص ٣٠٨ - ٣٢٦.
عمارة، محمد (١٤٢٢ هـ). الاتجاهات الجديدة في علم الكلام الجديد، حوار منشور في مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العدد١٦-١٧.
الفضلي، عبد الوهاب (٢٠٠١). حول تجديد علم الكلام، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، بيروت، عدد ١٤.
قرامكلي، أحمد (٢٠٠٢). الهندسة المعرفية للكلام الجديد، ترجمة: حيدر نجف، دار الهادي، بيروت، ط١.
القرني، خالد بن محمد بن آل علي (٢٠٢٠). علم الكلام الجديد بين دعوى التجديد والعلمانية: المدرستان الهندية والإيرانية أنموذجاً: دراسة وصفية تحليلية. مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية ، ع٨. جامعة تعز فرع التربة - دائرة الدراسات العليا والبحث العلمي. ص ص ٤٠٦ - ٤٦٥.

كانط، عمانوئيل (١٩٨٨). نقد العقل المحض، ترجمة: موسى وهبة، مركز الإنماء القومي، بيروت.
ملكيان، مصطفى (٢٠٠٩). الشوق والهجران، تعريب: أحمد القبانجي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط١.